شهيـــد كربلاء !

[بقية المنشور فى العدد الماضى]

للأستاذ محمود الخفيف

وَيَوْمٍ من الدَّمِ إصباحُهُ ... عَلَى الأُفْقِ ذائبُهُ الأَحْمَرُ
به صُوَرُ الهَوْلِ قبل الوقوع ... كأنَّ السماء بِهَا تُنْذِرُ
كأنَّ الرَّدى شَبَحٌ ماثلٌ ... إليـــهِ قُلوبُهُمُ تَنظُرُ
من الحَرِّ تُشْوَى الوجوهُ ضُحَىً ... كأنَّ الجحيمَ به تَزْفِرُ

بَمَيْمَنَةِ الصَّفِّ قامَ زُهَيْرٌ (١) ... وقامَ حبيبٌ (٢) على المَيْسَرَه
تَعَلَّمَ فى كُلِّ نَفْسٍ يقينٌ ... تُلاقَى به المَوْتَ مستبشِرَه
وَكَمْ مِنْ كَمِيٍّ تَرى وَجْهَهُ ... تُبْصِرُ فى وجْهِهِ قَسْوَرَه
مِنَ الجِدِّ تَعْبَسُ تلك الوجُوهُ ... ومِمَّا لَرَتْضَتْهُ تُرَى مُسْفِرَه

وهذا الحُسَيْنُ فَتَى هاشِمٍ ... بِقَبْضَتِهِ سَيْفُهُ مُنْتَضَى
تَلَأْلَأَ فى الصفِّ وَجْهُ الحُسَيْنِ ... كَصَارِمِهِ العَضْبِ إذْ أُرْمِضا
تَخايلُ فى وجهِهِ مِنْ أَبِيهِ ... عَلِيِّ إمامِ الهُدَى المُرْتَضَى
يُسَوِّى الكُمَاةَ ويدعو الرُّمَاةَ ... وَيَخْضَعُ لِلَّهِ فيما قضى

به غُلَّةٌ والفُراتُ الدَّفوقُ ... عَلَى قَابِ قَوْسَيْنِ أو أَقْرَبُ
تُلاَئِلُ شمسُ الضحَى ماءَهُ ... فَلألاؤه لَهْثَا مُلْهِبُ
وقد أضرَمَ الحَرُّ أَغْاسَهُ ... ونارُ الوغى حَوْلَهُ تَصْخَبُ
يَظَلُّ عَلَى قَرْنِ شَيْظَانِهَا ... نذيرٌ بأهْوالها يَنْعَبُ

أبوهُ عَلَى الحوضِ يَسْقِى العِطَاشَ ... إذا الحَشْرُ عَجَّ بهم واضطرَمْ
فيا وَيْحَهُمْ يَمْنعون الحسينَ ... مِنَ الماء وهْوَ لديهم عَمَمْ
وكم بَلَّ غُلَّةَ ذى غُلَّةٍ ... حُسَيْنٌ وكم كانَ عَيْنَ الكَرَمْ
حَيًّا فى الجدوبِ سَنًى فى القُطوبِ ... حَمًى فى الخطوبِ غِنًى فى العَدَمْ

يُعالِجُ كُلَّ فَتًى سَيْفَهُ ... وقَدْ شَهِدَ الأكثرينَ نِفَارَا

(١) زهير بن القين . (٢) حبيب بن المظهر

تَنادَوْا وقد أحْدَقوا بالظِّباء ... إذا التَفَتوا يَمْنَةً أو يَسَارا
وكم ظامِىءٍ بينَ تلك الخِيامِ ... إلى الرَّوْعِ هَزَّ الحُسامَ اضْطرارا
لِطيفٍ إلى الماء وهْوَ الذى ... بكلِّ وغًى مَنْ يُطِيقُ اضْطِبارا!

عَلَى فَرَسٍ زافِرٍ باللهيبِ ... دَعَاهُمْ وفى يدِهِ مُصْحَفُ
أَصِيخوا فَإِنِّى لكمْ مُنْذِرٌ ... ألم يأنِ يا قَوْمُ أنْ تُنصِفوا
لئن كانَ سَفْكُ دمى هِمَّكُمْ ... فَأعفوا العِطَاشَ هُنا وارأفوا
أمامكمُ الظمأُ المستعِرْ ... ضُحَى الحَشْرِ إذ يَعْظُمُ الموقفُ

أَلَسْتُ ابنَ فاطِمةٍ ويحكمْ ... أجيبوا أَلَسْتُ ابنَ بِنْتِ النبى ؟
أفيقوا أتنسَوْنَ أنَّ أبى ... عَلِيٌّ وحَمْزَةَ عَمُّ أبى ؟
وَجَعْفَرُ (١) مَنْ كان يُدْعَى بذى الـ ... ـنَاحَيْنِ عَمِّى فَتًى يَعْرُبِ ؟

حذارِ لكمْ أنْ تُرِيقوا دمى ... فَسَاءَ لكمْ ذَاكَ مِنْ مَطْلَبِ
وشَقَّ الفضاءَ صُرَاخُ النساء ... فَإِنَّ لِقُرْبِ المصابِ الجَلَلْ
لقد أخدَقَتْ قَارِعَاتُ الخطوبِ ... فَمَا مَسَّهُ وَهَنٌ أو وجلْ
تعاظَمَهُ أمرُ هذا الصُّراخِ ... فَمَادَ مِنَ الحُزْنِ ذَاكَ الجَبَلْ
تَخَاذَلَ عَزْمٌ له صَارِمٌ ... وخَارَ . . . فوارحمتا لِلْبَطَلْ !

وعاد الحسينُ ينادى العدوَّ ... أَنأْرٌ دعاكم لهذا العِداء ؟
كَرِهْتُ لكمْ أنْ تَشُدُّوا علينا ... جُمُوعًا ، وأن تبطشوا بالنساء
لئن كان بينى وبين امرىءٍ ... دَمٌ فَلْيُجِبْ بعد هذا النِّداء
عَجِبْتُ ! ألم يَدْعُنِى قومكمْ ... إليهمْ فنِيمَ أسأتمْ لِقائى ؟

وقال له قائلٌ منهمُو ... إذا رُمْتَ أمْنًا فبايِعْ يَزِيدا
مقالةُ مُسْتَهْزِىءٍ شامِتٍ ... يُمَنِّى بوعدٍ ويُخْفِى وعِيدا
وردَّ الحسينُ : أبَاتَ الكِرامُ ... بنو هاشمٍ صاغِرِينَ عبيدا ؟
دَعَوْتُ ولكن أراكمْ ضَلَلْتُمْ ... بما تطلبون ضَلَالًا بعيدا

تَدَاعَوْا إلى الطَّعْنِ لكنما ... تَخَلَّفَ عَنْ جَمْعِهِمْ بَاسِلُ

(١) جعفر بن أبي طالب قطعت ذراعاه فى غزوة مؤتة فبشره الرسول بأن سيبدله الله بهما جناحين في الجنة

مَشَى فى ثلاثينَ مِنْ جُنْدِهِ أمَائِلُ ما فيهمُو نَاكِلُ
فوارسُ خَبَتْ بهم خيلهمْ وفيهم أخو الرُّمْحِ والنَّابِلُ
أصاخوا لِقَوْلِ الحسين كما يُفِيقُ مِنَ الغَفْلَةِ الغَافِلُ
هُوَ الثَّأرُ ثارتْ به نخوةٌ فهزَّ بها بعض فُرسانِهِ
فأقبل مُعْتَذِراً للحسين ومِنْ حَوْلِهِ خَيْرُ أقرانِهِ
يقولُ بَرِىءٌ أنَا من يزيدَ وآل يزيدَ وأعوانِهِ
تَجَبَّرَ شَيْطانُهُ ابن زيادٍ فَسُحْقاً له ولشيطانِهِ

وصاح: ألا يَا خُصُومَ الحسينِ لأُمِّكُمُو يا لِئَامُ الهَبَلْ
أهذا الفراتُ حرامٌ عليهِ حَلالٌ لِكلِّ لئيمٍ نَزَلْ ؟
تَمُجُّ الخنازيرُ منه وما يُرَى نابِحٌ غَلَّ إلاَّ نَهَلْ
وتَنْهَلُ منه سِبَاعُ الفَلا ويصرعُ آلَ الحسينِ الغَلَلْ ؟

لك الويلُ يابن زيادٍ ويا سوءَ ما أنتَ ماضٍ له يا عُمَرْ[1]
غداً يابن ذى الجَوْشَنِ أصلَ الجحيمَ فأنتَ وقودٌ لها يا شَمِرْ[2]
حَلَفْتُ لأقْتَحِمَنَّ الحتوفَ وما كنتُ فيها امْرَءاً ذا خَوَرْ
فإنْ أنا متُّ فِداءَ الحسينِ ففى جنةٍ مَقْعَدِى ومَمَرْ
وغيظ العَدُوُّ فَشَدُّوا صُفُوفاً ففى زحفهمْ غِلْظَةٌ واحْتِدامُ
فوا عجباً زلزلتْ جَمْعَهُمْ مِنَ القِلَّةِ الظامئينَ سِهامُ
وشاءوا مُبارزةً فانبرى لهم مِنْ فريقِ الحسينِ عِصَامُ
فَنَدَلَ مِنْ جمعهم فارسَيْنِ وفى السيفِ والقلبِ منهم ضِرامُ
وطالتْ مُبارزةٌ بينهمْ فَكَرَّاتُهُمْ كلُّها خاسِرَهْ
فما التَقَتِ الخيلُ إلاَّ جَرَتْ بفُرسانِها خيلهم نافِرَهْ
كأنَّ الحسينَ وأصحابَهُ ضَرَاغِمُ مُهتاجَةٌ زائرَهْ
كِرَامٌ عَلَى قِلَّةٍ صابرونَ بِدُنياهُمُو اشْتَرَوا الآخرَهْ
وَخافَ المبارزةَ الأكثرونَ فَشَدُّوا على الظامئينَ صُفُوفا
فَكَمْ كَرَّةٍ رَدَّها صَفُّهُمْ وَمَا وَهَنوا حينَ خاضوا الحتوفا
وَظَلَّ الحُسَيْنُ بهمْ داعِياً عطوفاً على المُهكَينَ رؤوفا

وحسبهمو ما بهمْ مِن أوَامٍ فكيفَ وَهُمْ يَدْفَعُونَ الأُلوفا
فَواجِعُ تَغْشَى صَمِيمَ الفُؤادِ وللدَّمِ رائحةٌ تُنْشَقُ
وَأوَّلُ مَا خَرَّ مِنهمْ شَهِيدٌ وَجَمْعُ العَدُوِّ بِهِمْ مُحْدِقُ
دَعَا للحُسَيْنِ وأوْصَى بِهِ وَجَفْنَيْهِ كَفُّ الرَّدى تُطْبِقُ
وَبَشَّرَهُ صَحْبُهُ بالنَّعِيمِ فَهَشَّ لهمْ وَجْهُهُ المُشْرِقُ

بِمَيْسَرَةِ الجَيْشِ شَدَّ الدعِيُّ ابْنُ ذى الجوشنِ المستطيلُ الأثيمُ
دَنَتْ خَيْلُهُ مِنْ مَكانِ الحُسَيْنِ فَآذاهُ لولا كِفاحٌ عظيمُ
وَزُحْزِحَ بَعْدَ اقْتِتالٍ مَرِيرٍ ودونَ الحُسَيْنِ جِهادٌ صَرِيمُ
تَكاثَلَ مِنْ حَوْلِهِ الذَّائدونَ فَخَيْلٌ تَشُدُّ وَخَيْلٌ تَحُومُ

طَغَى وتمادى ابن ذى الجوشنِ فَكُلُّ حَيٍّ عِنْدَهُ مُسْتَبَاحُ
تَصَدَّى لِيَحْرِقَ تِلْكَ الخِيامَ وَكَمْ مَلأَ السَّمْعَ مِنْهَا نُواحُ
فَكَمْ قَدَّ بالرُّمْحِ من خَيْمَةٍ وَمِنْ حَوْلِهِ مُشْرَعاتٌ رِمَاحُ
ولولا فَتًى عَيَّرَ ابنَ الدَّعِيِّ لما عَفَّ وهو السَّيْفُ الوَقَّاحُ

دَعَا بالرُّمَاةِ فَحَفَّتْ إليهِ مِئاتٌ غِلاظٌ تَشُدُّ القِسِيَّا
بِهَا عَقَرُوا خَيْلَ صَحْبِ الحُسَيْنِ فَلَمْ يذروا دَانِياً أوْ قَصِيَّا
هَوَى الحُرُّ مُرْتَجِزاً هَاتِفاً أنا الحُرُّ ما كُنْتُ إلا الأبِيَّا
فَإنْ تَعْقِروا فَرَسِى ان أذِلَّ سَأقْتَلُ دُونَ الحُسَيْنِ رَضِيَّا

وَشَدَّ زُهَيْرٌ وَجُنَّ القِتَالُ وَزُلْزِلَتِ الأرْضُ زِلْزَالَها
وأوْمَضَتِ البِيضُ تَحْتَ الغُبَارِ وردَّدَتِ الخَيْلُ تَصْهَالَها
تَهَزَّأ كُلُّ فَتًى بالحتوفِ فخاضَ هُنَالِكَ أهْوَالَها
وَرُدَّ الأثِيمُ عَلَى رَغْمِهِ وَقَدْ هَاجَتِ الحَرْبُ أبْطالَها

وكَرَّ حبيبُ على الأكْثَرِينَ وكَرَّ أبَاةٌ شِدادٌ مَعَهْ
فَقَاتَلَ فِيهِمْ إلى أنْ رَمَاهُ عَدُوٌّ بِسَهْمٍ لَهُ أوْقَعَهْ
فَهَبَّ فعاجَلَهُ آخَرُ بِسَيْفٍ فَأوْرَدَهُ مَصْرَعَهْ
وَكَمْ هَدَّ هذا المصابُ الحُسَيْنَ وأسْبَلَ مِنْ حَزَنٍ أدْمُعَهْ

يقول: لَقَدْ جَلَّ فيه المصابُ فَنَفْسِى مِنْ سَاعَتِى أحْتَسِبْ
فَشَقَّ على الحُرِّ قَوْلُ الحُسَيْنِ وَهَيَّجَهُ دَمْعُهُ المُنْسَكِبْ
فَأقْبَلَ مُرْتَجِزاً مُنْشِداً سَألْقى الرَّدى عَنْكَ إذْ يَقْتَرِبْ
وَأضْرِبُ دونَكَ لا أُسْتَطارُ ولا أُسْتَكِينُ ولا أنْقَلِبْ

(١) عمر بن سعد بن أبى وقاص أرسله ابن زياد على رأس الجيش.
(٢) شمر بن ذى الجوشن كان على ميسرة الجد شديد الخصومة للحسين.

وَمَا لَبِثَ الحُرُّ إلا قليلا ... يخوض الحتوفَ وَيَسْتَقْتِلُ
فَخَيْلٌ تُحَمْحِمُ مُرْتَدَّةً ... وَأُخرى تَصَدَّى له تَصْهَلُ
وَقَدْ شَدَّ جَمْعٌ كَبيرٌ عَلَيْهِ ... ودارَ بِهِ وَهْوَ مُسْتَبْسِلُ
هَوَى جَسَداً لا حراكَ بِهِ ... يُعَمِّمُهُ الدَّمُ والقَسْطَلُ
وَجَاهَدَ فِيهِمْ زُهَيْرٌ وَشَدَّ ... فَكانَ القَوِيَّ الجليدَ الفَتِيّا
يقول : فَدَيْتُكَ أَقْدِمْ حُسَيْنُ ... غَداً تَلْقَ جَدَّكَ طهَ النبيّا
وتلقَ أَباكَ الإمامَ الوَصِيَّ الـ ... ـتَّقِيَّ النَّقِيَّ النَّجيدَ عَلِيّا
وَسِبْطَ الرَّسُولِ أَخاكَ وذا الـ ... ـجناحَيْنِ زينَ الشَّبابِ الكميّا

فما زَالَ يَضْرِبُ دونَ الحُسَيْنِ
وَمُذْ خاضَ هَوْلَ الوغى ما اسْتَراحا

تَحدى الحتوفَ وَقَدَّ العُفوفَ ... وردَّ السيوف وَصَدَّ الرِّماحَا
أحاطَ بِهِ مُثْخَناً فارسانِ ... فما كانَ إلاَّ أَشَدَّ كِفاحَا
وما ماتَ حتى بدا عاجزاً ... مِنَ الزَّحْفِ عَنْ أَنْ يَهُزَّ السِّلاحا
تفانَى الرِّجالُ وَقَلَّ النَّصيرُ ... فما لِلْمُكافِرِ لَمْ يَرْجِعِ ؟
وليسوا وإن خَرَّ مِنْهُمْ كثيرٌ ... يُحِسُّونَ بالنَّقصِ فى مَوْضِعِ
ويَشْعُرُ بالنَّقصِ جُنْدُ الحُسَيْنِ ... إذا ما شَهِيدٌ إليهِ نُعِي
ألا كَمْ تَهاوَوا لديهِ تِباعاً ... وفى الجوِّ وَقْدٌ وَفى الأَضْلُعِ
بَقِيَّتُهُمْ حولَه يَدْفَعونَ ... مُشَاةً فما فيهمو فارِسُ
ومانُوا لديهِ فرادى ومثنى ... وَكلٌّ لِقُسْطَاتِهِ حارِسُ
تكاثَرَ صَوْبَ الحُسَيْنِ العِدَى ... إلى أَنْ تَصَدَّى لَهُمْ عَابِسُ(١)
فذاقَ الرَّدى زاحِفاً وَحْدَهُ ... وكلٌّ فَتًى بِاسْمِهِ هَامِسُ
يَدُ الموتِ لم تُبْقِ مِنْ صَحْبِهِ ... كَمِيًّا ، وهَوْلُ الوغى فاجِعُ
تَقَدَّمَ إِخْوَتُهُ يدفعون ... وما للقضا منهمو دَافِعُ
وأبناءُ أَعْمَامِهِ حُوَّمٌ ... يذودون وَهْوَ لهم دامِعُ
يلاقون بين يديه المنون ... أَبَاةً فما فيهمو جازِعُ
فواحسرتا كم رمى الباطشون ... من الأَفْرُعِ الشُّمِّ من هاشم
وَوَالَهْفَتَا إذ ينادى علىٌّ ... أَبى ! وهو بَيْنَ يدى غَاشِمِ
فَيَسْعَى إليه أبوه الحُسَيْنُ ... وليس من اللوتِ من عاصِمِ

(١) عابس بن شبيب وكان أشجع الناس

وَتَصْرُخُ زَيْنَبُ : يابْنَ أَخى ... وتحنو على البَطَلِ النَّائِمِ
بكيت لأَمْرِدَ جَرَّ الحُسَامَ ... وَحِيداً يُقَاتِحُ عن عَمِّهِ
غُلامٌ كما اعتدلَ السُّمْهَرِيُّ ... وَعَزْمُ المهنَّدِ مِنْ عَزْمِهِ
فَتًى دِرْعُهُ البأسُ لَمْ يَدَّرِعْ ... بِغَيرِ الإزارِ على جِسْمِهِ
هو القاسِمُ ابن أخيه الإمام ... بَقِيَّةُ مَنْ خَرَّ مِن قومِهِ
فيا هَوْلَ مَصْرَعِهِ إذ أحاطت ... بِهِ الخيلُ وَهْوَ لها صَامِدُ
فيهتف : عماه ! مُسْتَصْرِخاً ... وَيَهْوِى وَقَدْ شَجَّهُ مَارِدُ
بِرِجْلَيهِ يَفْحَصُ مِمَّا بِهِ ... وَبَيْنَ العِدا عَمُّهُ جاهِدُ
على صدرِه احتمل ابن أخيه ... ولكنَّهُ جَسَدٌ هامِدُ
وأعيا على باب فُسْطاطِه ... يَضُمُّ صبيا إلى صَدْرِهِ
فبينا يَشُمُّ الحُسَيْنُ ابنهُ ... ويوصى بِهِ وَهْوَ فى حِجْرِهِ
بسَهْمٍ تَصَيَّدَهُ قانِصٌ ... فَفار بِهِ الدَّمُ من نَحْرِهِ
تلقى دم الطِّفْلِ مُسْتَسْلِماً ... لما قَدَّرَ اللهُ مِنْ أَمْرِهِ
وجاءَتْ له امرأةٌ خِلْسَةً ... بماء وَهُمْ حَوْلَهُ حُوَّمُ
فما كادَ يَشْرَبُ حتى رَماه ... بسَهْمٍ أَخُو خِبْرَةٍ مُجْرِمُ
أَصَابَ بِهِ الوَغْدُ شِدْقَ الحُسَيْنِ ... فَفار على الماءِ مِنْهُ الدَّمُ
دَعَا رَبَّهُ : رَبِّ خُذْ ظَالِمِي ... فَأَنْتَ بما ظَلَمُوا أَعْلَمُ

أَلَحَّتْ على البطل النائباتُ ... فمن لوحيدٍ ذوى ... مَنْ له ؟
تَوَقَّدَ من ظَمَأٍ جَوْفُه ... وأصحابه رِمَمٌ حَوْلَهُ
وَجَمْعُ العَدُوِّ محيطٌ بِهِ ... وإنْ خافَ كلُّ امرىءٍ قَتْلَهُ
تَهَيَّبَ أَنْ يقتلوا ابنَ النبيِّ ... شياطينُ كم بطشوا قَبْلَهُ
وظَلَّ يحرِّضُ أصحابَه ... أضل العدا شِمْرُ الفاجرُ
وهوَّنَ قَتْلَ الحسينِ تشدُّوا ... عليه وليس لهم زاجرُ
فَهَبَّ وصمصامه مصلتٌ ... كما وَثَبَ الضَّيغم الثائرُ
فكَمْ كَرَّةٍ هدَّها بأسُهُ ... وزلزلها عَزْمُهُ الصابرُ
ألحُّوا على البطل المستميت ... فشدُّوا شمالاً وشدُّوا يمينا
يقوم ويكبو وهم يضربون ... وتأبى عريكتهُ أن تلينا
إلى أن هوى مثخناً بالجراح ... على وجهه سِمَةُ الصابرينا

المغيب